المحاضرة 11 : التنوّع اللّغويّ والجغرافيّ 2: اللّغات المهيمنة ولغات الأقلّيّات (علم اللهجات)

1/ تعريف الهيمنة:

تنحدر الهيمنة من الكلمة اليونانية hegemonia، وهي كلمة تشير إلى الحكم أو الأمر أو السيطرة، وهو مصطلح معقد يفتقر إلى تعريف متفق عليه. وقد ظهرت بدايات هذا المفهوم في كتابات ثيوسيديدس عندما وصف الهيمنة الآثينية في الحرب البيلوبونزية إبان نسق الدولة المدينة. حيث فرق ثيوسيديدس بين الهيمنة على اعتبارها القيادة المشروعة والسيطرة السياسية [1].

ويعرف معجم ميريام وبستر الهيمنة على اعتبارها النفوذ أو السلطة على الآخرين" ويركز هذا التعريف على الاختلاف الظاهر في القوة وعلاقات السيطرة بين فاعلين غير متساوين في القوة. وتاريخياً كان مصطلح الهيمنة يعني القيادة أو الحاكم ذو السيادة. وتوسع المصطلح ليشمل السيطرة العسكرية والاقتصادية والسياسية لدولة قومية على أخرى. ويرى هيرمان Hermann أن الهيمنة إنما ترتبط بمفاهيم القوة والأيديولوجية والصراع.

ويمكن القول إن مصطلح الهيمنة يرتبط بالسيطرة وصعود وتراجع قوة الدول[2]. ويعرف لين سكوت Len Scott الهيمنة على اعتبارها السيطرة السياسية و/أو الاقتصادية على منطقة ما من قبل قوة عظمى[3].ويرى البعض أن الدولة المهيمنة هي دولة مسيطرة في ضوء الموارد المادية للقوة، حيث تحقق لذاتها الأمن في بيئة فوضوية، وذلك من خلال تصرف أحادي لتحقيق مصالحها القومية، وتستمر بالإكراه وباستخدام القوة العسكرية عند الضرورة.

2/ أما الهيمنة اللغوية :

فتعرف على أنها " تلك الظاهرة التي تسيطر على عقول شعب معين تجاه لغة أجنبية مهيمنة على لغتهم الأصلية، بحيث يعتقدون أنه يجب عليهم استخدام اللغة الأجنبية في تعاملاتهم اليومية وفي نظامهم التعليمي وفي جوانب الفلسفة والأدب والمعاملات الحكومية والقضائية والإدارية. إن الهيمنة اللغوية تتبع منهجية تكمنها من السيطرة

---

[1] Andreas Antoniades, **Hegemony and International Relations**, Macmillan Publishers, 2017

[2] Sezai Ozcelik, Neorealist and Neo-Gramscian Hegemony in International Relations and Conflict Resolution During 1990s, Ekonomic ve Sosyal Arastimalar Derigis, 2005

[3] Len Scott, **International History 1945-1990**, in: John Baylis and Steve Smith, The Globalization of World Politics, Oxford University Press, 1997

حتى على عقول النخبة بحيث يظن المرء بأن لغته لا ترقى إلى مصاف اللغات الأجنبية المهيمنة، وبذلك يبدأ العزوف عن اللغة الأصلية واحتقارها[4] .

ومن مظاهر احتقار اللغة الأصلية " والانهزام النفسي والشعور بالدونية الحضارية الذي يغلب اليوم على العرب تجاه الغرب ما دراه من رغبة طاغية لدى كثير منهم في أن يقحموا في كلامهم أو كتاباتهم كلمات أو عبارات أو مصطلحات أعجمية لا تتطلبها مناسبة ولا تقصيها ضرورة ولا يستدعيها مقام وإنما هو شعور الضعف الذي سرا فيدا واستحوذ علينا "[5] يقول ابن خلدون في ذلك : أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من عليها وانقادت إليه[6] .

إن اللغة المهيمنة هي لغة الدولة المهيمنة، فما اللغة إلا مرآة عاكسة للأمة ومكانتها إذ بقدر قوة الأمة تقوى لغتها؛ فحينما كانت الدولة الإسلامية قوية ومسيطرة شاع اللسان العربي وتفوق على غيره من الألسن، لكن بعد ذلك تزعزع، خاصة مع علبة العجم، يقول ابن خلدون في ذلك : ولما تملك العجم وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فهد اللسان العربي لذلك، لولا ما حفظه من عداية المسلمين بالكتاب والسنة (ابن خلدون [7]، أما اليوم فمن أبرز اللغات المهيمنة على لغات العالم هي اللغة الانجليزية والفرنسية، وتلك القوة مستمدة من قوة الدول الناطقة بها كالولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، الدول الأوروبية ...إلخ

3/– مخاطر هيمنة اللغات الأجنبية على اللغة العربية:

1/ ذوبان الهوية :

الرابط اللغة بالهوية في شكل الثاني، إذ يمتد كل طرف كيانه من الآخر، فلا تصور الهوية مجتمع من دون لغة. والغة من دون هوية[8] وتهوية الشيء في ثوابته التي التجدد ولا التغير .. إنها كالبسمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها من غيرة فهي تشمل الخصائص التي تميز الإنسان من غيوم كالدين واللغة والتاريخ والتراث.. الخ، واللغة هي التي تحافظ على وحدة المجتمع وهويته، وبناء حضارته فهذه اليابان عقب استسلامها في الحرب العالمية الثانية " قد فرض الأمريكيون شروطهم المجحفة عليها مثل تغير الدستور وعلى الجيش ونزع السلاح.. الخ، وقد قبلت اليابان جميع الملك الشروط ما هذا شريطا واحدا لم الفول به وهو التعاطي من لعلها القومية في التعليم، فكانت اللغة

---

[4] روبيرت فيليبسون، 2008 (م)، الهيمنة اللغوية، تر :سعد بن هادي الحشاش، دط، ، الرياض .جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع. ، ص 58.

[5] فتحي جمعة ،) 2000 (، اللغة الباسلة ، ط 5 ، مصر، دار النصر.ص 22

[6] عبد الرحمن ابن خلدون،) 1988 (، المقدمة، تحقيق حجر عاصي، بيروت، دار ومكتبة الهلال،ص101

[7] عبد الرحمن ابن خلدون،) 1988 (، المقدمة، تحقيق حجر عاصي، بيروت، دار ومكتبة الهلال،ص457-458.

[8] هيمنة اللغات الأجنبية على اللغة العربية ، مخاطرها على المجتمع العربي ، ياسين بوراس ،مجلة الممارسات اللغوية ، العدد 30، 2014ص4.

اليابانية منطلق نهضتها العلمية والصناعية الجديدة[9] ،ولم تفعل اليابان ذلك إلا لأنها متيقنة من أن تلتها في فقيد التي تعكس انتمائها وتاريخها، وهويتها ولا يمكن استبدالها بغيرها، ولو لم تفعل ذلك لذابت هويتها وأبقيت تعيش الشيعية إلى أجل غير مسمى بسبب الهيمنة اللغوية الانجليزية . وكذلك الشأن بالنسبة للهوية العربية التي لا يمكن أن تعثر عنها سوى اللغة العربية، فاللغة هي حاملة الثقافة واللغة الفرنسية، والانجليزية حاملتان لثقافة أجنبية، ليست تابعة من صلب المجتمع العربي، فيما إن منحة مجتمعنا حياة الآخر فإنهما أن تحملا له خصوصيته واستقلاليته، لأنهما حملنا الثقافة الآخر وهويته، وإن لم تواجه تحديات واقع الهيمنة اللغوية الأجنبية ستظل أجيالنا تعيش حاضرا مفصولا عن ماضيها، وبذلك ستعيش هوية غير هويتها، ومن لا ماضي له لا حاضر له[10].

2/ تعسير التعليم في التخصصات العلمية:

إن هيمنة اللغات الأجنبية خصوصا الفرنسية والإنجليزية تجعل الدارسين يواجهون صعوبات كثيرة فهم يتعاملون مع اللغة الأجنبية بطريقة رمزية وآلية إن يتواصلون ويفكرون في حياتهم اليومية بالعربية [11].

3/ التضييق على العربية في المصطلحات العلمية:

تمتد الآثار السلبية الهيمنة اللغة الأجنبية إلى مستقبل اللغة العربية حيث إنه من شأن هذه الهيمنة أن تؤدي خصوصا على المدى البعيد إلى حرمان اللغة العربية من المصطلحات الدالة على المخترعات والمكتشفات الحديثة في شتى مجالات المعرفة[12] .

4/ بعض سبل التصدي لمخاطر الهيمنة على اللغة العربية :

إن أي لغة بشرية يمكن أن تصبح مهيمنة أو مهيمنا عليها وفقا للمكانة الثقافية والاقتصادية والسياسية لأصحابها، ووفقا للوظائف التي تمنحها لها الدولة الناطقة بها، فأصحاب اللغة هم من يرفع مكانة لغتهم، وينهضون بها وفي ما يلي بعضا مما يمكن القيام به للحد من مخاطر الهيمنة اللغوية على العربية:

4-1/ دور التعريب في مكافحة مخاطر الهيمنة على اللغة العربية

إن حماية تعريب المؤسسة العلمية كالجامعات والمدارين والمراكز البحثية ليست عملية لغوية فقط وإنما في عملية فكرية أيضا المهم في الطابق استقلالية الفكر من النقل والتبعية، وعليه فالتعريف ضرورة لغوية إذ بعد من أهم آليات تطوير اللغة العربية من خلال استحداث مصطلحات الأزمة للتعبير عن مفاهيم جديدة في شتى المجالات

---

[9] اللغة العربية وتحديات العصر، مُحَمَّد أحمد السيد ، دمشق 2008 .ص167-168

[10] هيمنة اللغات الأجنبية على اللغة العربية ، مخاطرها على المجتمع العربي ،ص7.

[11] الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الانجليزية، عبد الجواد توفيق محمود ،مجلة رؤى استراتيجية، العدد 5 ، 2014 ص:130

[12] الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الانجليزية ، ص:130

المعرفية، والتعريب ضرورة علمية أيضا تكون تعريب التعليم يضع بين أيدي طالبي العلم أداة طليعة من أدوات التعمير تساعد في زيادة الفهم وبسرعة، وتسهيل التحصيل العلمي[13]

4-2/ دور المؤسسات التعليمية والثقافية في مكافحة مخاطر الهيمنة على اللغة العربية

أما على مستوى المؤسسات التعليمية فلا بد من تفعيل التواصل باللغة العربية، وأن تكون هذه اللغة اللغة الرسمية علميا ووظيفيا وأين رمزيا قصدي، ومن طرائق تفعيل التواصل اللغوي بالعربية ما يلي:

* إلزام وسائل الإعلام كافة بضرورة استخدام الفصحى وتبنيها.

* إلزام الجامعات في الوطن العربي بضرورة التدريس باللغة العربية، وتفعيل تلك داخل قاعات المحاضرات.

* إلزام كافة المؤسسات باستخدام اللغة العربية.

* ضرورة إنشاء الهيئة القومية للتعريب على مستوى العالم العربي لتولى مهام تعريب العلوم بالتنسيق بين الجامعات العربية.

* تشجيع الجامعات على مستوى العالم العربي من أجل إيجاد القوات للنشر العلمي باللغة العربية.

4-3/ دور الفرد والمجتمع في مكافحة مخاطر الهيمنة اللغوية على اللغة العربية:

ينبغي أن تحرص على المستوى الغربي على تفعيل اللغة العربية في شتى أنماط التواصل على الاستخدام السليم لها، وذلك بغض النظر من تخصصاتنا أو خلفياتنا الأكاديمية، فهل تقبل مثلا أن أستاذا جامعيا انجليزيا أو أمريكيا لا يجيد التحدث باللغة الإنجليزية؟ فلماذا إذا نجد أن التواصل الشفهي في الأوساط الأكاديمية والرسمية تهيمن عليه اللغات الأجنبية، واللهجات المطلية؟[14] .

4-4/ دعم الإرادة السياسية وصناع القرار في مكافحة مخاطر الهيمنة على اللغة العربية :

إن الدور الأكبر والأكثر فاعلية في مكافحة خطر البيئة هو دور الإرادة السياسية وصناع القرار **إذ يوفر الدعم المادي اللازم لإنشاء الهيئات والمجامع اللغوية التي تضع الخطط الإستراتيجية اللازمة لتشخيص الواقع اللغوي ثم التخطيط ثم التنفيذ، ناهيك عن أن الإرادة السياسية هي من بين القوانين الرادعة لحماية اللغة العربية في دارها،إذ نعلم جميعا أن هناك مئات الأبحاث المملوءة بالتوصيات الودية التي تتعلق بقضايا الهيمنة على اللغة العربية لكن أن تحقق ما لم تلق دعما مهامها**[15] .

---

[13] الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الانجليزية ، ص:133

[14] الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الانجليزية ، ص:133

[15] الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الانجليزية ، ص:133.

5/ مفهوم لغات الأقليات (علم اللهجات): هو فرع من فروع علم اللغة العام (اللسانيات) وهو علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صُور من الكلام في لغة من اللغات، أو هو علم يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرَّع عن لغة. وقد تعرف على أنها لغة يتحدث بها أغلب السكان ويطلق على هؤلاء الأشخاص أقليات لغوية أما اللهجة فلا بد علينا الوقوف على مفهومها في اللغة والاصطلاح:

مفهوم اللهجة:

لغة:اللهجة لغة مأخوذة من "**لهج**" الفصيل يلهج أمه إذا تناول ضرع أمه بمتصه، و**لهج** الفصيل بأمه **يلهج** إذا اعتاد رضاعتها فهو فصيل لاهج، أو من لَهِجَ بالأمر لهجا،ولهُوَجَ، وأَلهجَ، كلاهما: أُولع به، وعتاده وألهجته به، يقال فلان ملهج بهذا الأمر أي مولع به واللّهَجُ بالشيء الولع به[16]

اللهجة، بالتسكين، واللهجة بالفتح؛ طرف اللسان وجرس الكلام .. ويقال فلان فصيح اللهجة واللّهَجَةِ،وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها.

فاللهجة حسب لسان العرب والمعاجم العربية القديمة هي الولع بالشيء واللغة التي نشأ عليها.

اللهجة اصطلاحا: تعد كلمة اللهجة كلمة مشتقة من الكلمات اليونانية ديا – بمعنى "عبر ، بين"وليغين "يتكلم" .فاللهجة هي مجموعة متنوعة إقليمية أو اجتماعية للغة تتميز بالنطق والقواعد أو المفردات عن غيرها من الأشكال اللغوية .غالبًا ما يستخدم مصطلح اللهجة لوصف طريقة التحدث التي تختلف عن التنوع القياس ي للغة.

تلاحظ سارة توماسون من الجمعية اللغوية الأمريكية، بأن جميع اللهجات تبدأ بنفس النظام ويترك تاريخها المستقل جزئيًا أجزاء مختلفة من النظام الأصلي السليم أي اللغة القياسية .وقد أدى هذا إلى ظهور بعض الأساطير حول ثبات اللغة، مثل الادعاء بأن سكان أبالاتشيا يتحدثون الإنجليزية الإليزابيثية النقية [17]

واللهجة هي لغة الإنسان التي جُبل عليها واعتادها ونشأ عليها، وقد أُطلقت اللهجة على اللسان أو طرفه فهو آلة التحدث بها.

وهي طريقة معينة في الاستعمال اللغوي، توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة.ولهج بمعنى أُولع بالأمر أو الشيء؛ أي أُعجب به ومال إليه.

و اللَّهجةِ في الاصطِلاحِ العِلميّ الحَديثِ هو: (بعض الصِّفاتِ اللُّغَويَّةِ التي تعود إلى بيئةٍ خاصَّةٍ، ويَشتَرِكُ جَميعُ أفرادِها فيها، وبيئةُ اللَّهجةِ جُزءٌ من بيئةٍ أكبر تشمل لَهَجاتٍ عديدة، لكُلٍّ منها سماتها، وإن اشتركَت جَميعًا في عددٍ منَ الظَّواهرِ اللُّغَويَّةِ[18].

وتُسمَّى البيئةُ الكبيرة: (لُغة)، والعَلاقةُ بَينَ اللُّغةِ واللَّهجةِ كالعَلاقةُ بَينَ العامِّ والخاصِّ.

---

[16] لسان العرب: (ل ه ج).

[17] https://e3arabi.com/literature

[18] في اللهجات العربية:إبراهيم أنيس ،ص: 16.

ومن المهمّ دِراسةُ اللَّهَجاتِ العَربيَّةِ القَديمةِ في الدِّراساتِ التي تتعلق بعِلمِ اللُّغةِ الحَديثِ؛ حيث تُسهِم دِراستها بلُغةٍ واحِدةٍ في معرفة طَبيعةِ اللُّغةِ ومَراحِلِها، وأثر البيئة فيها.

ويَقولُ العَقَّادُ: (وكَذلك تُفيدُنا دِراسةُ اللَّهَجاتِ في مَعرِفةِ التَّاريخِ؛ ففي إقليمَي (أُسوان) يُبدِلونَ الميمَ باءً، فيَقولونَ)البَكان) بَدَلًا من (المكانِ)، فقد نَفهمُ من هذا أنَّ أُصولَ القَبائِلِ التي نَزَلَت في هذا الإقليمِ تَرجِعُ إلى القَبائِلِ العَربيَّةِ التي كانت تَقلِبُ الميمَ باءً[19]()

6/ نشأة اللهجات:

اللغة على اعتبارها من أهم الأنشطة الاجتماعية لدى الإنسان ، وإحدى مميزاته الرئيسة حظيت باهتمام الباحثين ، وعلماء الاجتماع واللغة والنفس ، فكان موضوع نشأة اللغة شغلاً شاغلاً قديماً ، فتنوعَّت البحوث ، وتعددت الآراء التي تمثّلت في مجموعة من النظريات ، وهي : نظرية التوقيف ، نظرية الاصطلاح ، نظرية محاكاة أصوات الطبيعة ، نظرية محاكاة الأصوات ومعانيها ، نظرية الأصوات التعجبية العاطفية ، نظرية الاستجابة للحركات العضلية [20].

عوامل نشوء اللهجات:

وإذا ما نظرنا إلى اللهجة بحدها اللغوي " اللسان" استطعنا الحكم على اللهجة بأنها وُجدت مع وجود الإنسان ، فقد نزل آدم على الأرض ناطقاً (وعلَّم آدم الأسماء كلَّها) [21]وإذا نظرنا إلى اللهجة بوصفها : صفات لغوية وتركيبية تنتمي لمجموعة من الأفراد في بيئة محددة ، أو ذلك التباين والتمايز اللهجي على مستوى الصوت ، والدلالة ، والتركيب كان لنشأتها ظروف وخط زمني ، ويعزو علماء اللغة نشوء اللهجات إلى العوامل التالية :

. الآثار الطبيعية للانتقال ، والتجاور ، والغزو ، والمتمثلة في صراع لغوي بين اللغة المستقرة في البيئة ، واللغة الوافدة إليها [22]، وقل ما تنجو لغة من الوقوع تحت تأثير هذا العامل ، وفي إشارة لهذا يقول فندريس : " تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعدّ أمراً مثالياً لا يكاد يتحقق في أي لغة . بل على العكس من ذلك فإنَّ الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيراً ما يلعب دوراً هاماً في التطور اللغوي " [23]

. الانعزال الجغرافي والاجتماعي بين بيئات الشعب الواحد ، وذلك عندما تفصل العوامل الطبيعية من جبال ، أو أنهار ، أو صحارى، أو نحوها بين بيئات اللغة الواحدة ، فتنعزل إحداها عن الأخرى ، وتتطور كل بيئة في

---

[19] بحوث ودراسات في اللهجات العربية: من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،11.48 /

[20] ينظر : الصاحبي في فقه اللغة 31 ، 32 ، الخصائص 1 / 40 ، 41 .

[21] البقرة 31 .

[22] ينظر : اللغة: فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ،مُحَمَّد القصَاص ،1950م . 427 . 431 ، اللهجات العربية نشأة وتطورا : عبد الغفار حامد هلال ، الطبعة الثانية ، 1414هـ . 43 .

[23] اللغة: 348 .

ظروف بيئية واجتماعية مختلفة عن ظروف البيئة الأخرى ، فتتكون بيئة زراعية هنا ، وبيئة صناعية هناك ، وبيئة رعوية أوتجارية هنالك ، وتختلف الظروف الاجتماعية في كل من هذه البيئات عن البيئة الأخرى تبعاً لذلك[24] .

فكأنّ الاتصال مهما كانت وسيلته أو نوعه ، والانعزال بكلِّ صوره هما السبب الرئيس في نشوء اللهجات ، ومن صور الاتصال اللغوي انتقال اللغة من بيئتها إلى بيئة أخرى ، وهذا الانتقال يجعلها مهيأة لفقدان خصائصها ، يقول فندريس : " فاللغات التي تنتقل تفقد على وجه العموم خصائصها الفردية أسرع من غيرها ؛ وذلك لأنَّها معرَّضة لتأثيرات متعددة ومتنوعة تقع عليها من لغات تختلف عنها كثيراً في غالب الأحيان والانتقال في غالب أمره سبب في التحلل اللغوي " [25]

كما أنَّ اختلاط اللغة بلغة أخرى وافدة يعرِّضها ـ كذلك ـ لفقدان بعض خصائصها ، واكتساب بعض عاداتها ، كما تستعير منها بعض كلماتها ، ولعل منطقة التقاء لغة العرب بغيرهم في صدر الإسلام صورة واضحة لهذا التأثير والتأثر ، حيث استجَّد ما يسمى باللحن ، وظهر على الساحة اللُّغوية . غير أنَّ الاختلاط اللغوي يُدخل اللغات بلهجاتها مرحلة صراع ، ينتج عنه هزيمة ونصر ، هيمنة وانسحاب ، وتحقيق هذه النتائج مرتبط بقوة اللغة دينياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، حيث تهيمن لغة على أخرى وتنحيها ، أو تسيطر عليها ، وربما أدَّت إلى موتها تماماً . [26]ولا أدل على ذلك من طرد العربية للغات الأصلية في البلاد التي رحلت إليها ، وافتتحها العرب بعد البعثة المحمدية ، ففي العراق حلّت العربية محل الآرامية والفارسية ، وفي الشام أزاحت الآرامية والسريانية واليونانية ، وفي مصر هُزمت القبطية.[27]فاجتماع لغتين على صعيد واحد لا بد من أن يجعل كل واحدة منهما تتأثّر بالأخرى ، فتتغلب إحداهما على الأخرى ، أو تبقيان متجاورتين .[28]فتعمد كل لغة إلى ما تأخذه من الأخرى ، وتضفي عليه حيويتها ، وتقضي على ما فيها من الآثار الهدامة ، وعلى هذا تبقى كل منهما ، وتعيش بجوار أختها ، لها طابعها الخاص ، وشخصيتها القوية.[29] وكما أدّى الاختلاط إلى نشأة لهجات جديدة ، فإنّ الانعزال الجغرافي أو الاجتماعي يؤدي إلى تشعُّب اللغة الواحدة إلى لهجات عدّة ، فعندما تفصل الجبال أو الأنهار أو الصحارى، بين

---

[24] فقه اللغة مناهله ومسائله: الدكتور مُحَمَّد أسعد النادي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 2009م.154،153 ،وينظر مستقبل اللغة العربية المشتركة: الدكتور إبراهيم أنيس ،القاهرة 1960 م 7 ، المدخل على علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : الدكتور رمضان عبد التواب ، الطبعة الثانية ، 1405هـ . 147 .

[25] اللغة 364 .

[26] ينظر : اللغة 350 . 366 ، رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث العلمي ، الطبعة الثانية ، 1405هـ . 171 . 177 .

[27] ينظر من أسرار اللغة 110 ، 114 ،115 .

[28] علي عبدا لواحد وافي : علم اللغة ،القاهرة ،1962م . بتصرف 223 .

[29] المدخل إلى علم اللغة بتصرف 177 .

بيئات اللغة الواحدة ، فإنَّ هذه العوامل تؤدِّي إلى قلَّة الاحتكاك بين أبناء البيئة اللغوية الواحدة ، أو الانعزال التام بينهم ، فما أن يمر القرن أو القرنان حتى تتطور تطوراً مستقلاً يشعبها إلى لهجات مستقلة ، ويباعد بين صفاتها [30] وفي كتب اللغة وجهات نظر متعددة تشير إلى هذه الظاهرة ، كما أشارت الدراسات إلى نوع آخر من اللهجات فذكر البعض حديثاً عن لهجات الطبقات الغنية ، ذات الجاه والنفوذ والسيطرة السياسة واختلافها عن لهجات طبقات العمال والجنود والتجَّار والزراع ، وعن لغة اجتماعية وأخرى محلية ، غير أني أميل إلى وصف هذه الظاهرة " بالخصوصية اللهجية " وليس الاختلاف في اللهجات ، حيث أنّ ظروفاً معينة ذات علاقة بالمظاهر الحياتية أوجدت مفردات شاع تداولها لدى طبقة دون أخرى .

على أنَّ اللهجة المعزولة تقاوم التغيير طوال مدة تواجدها في بيئتها ، فيحتفظ أصحابها بأصواتها ، وكلماتها ، وتراكيبها ، وعندما ينتقل أحد أبناء اللهجة من بيئته اللهجية إلى بيئة لهجية أخرى ، ويعتري لسانه ما يعتريه من انحراف عن لهجته الأصلية ، فإنّه عند عودته إلى بيئة لهجته الأصلية يجد لسانه عائداً إليها أيضاً ، ويظل زمناً طويلاً يزاوج بين اللهجتين .

7/ الخَصائِصِ التي تُفرِّق بين اللَّهَجاتِ: تتميز اللهجات بخصائصها التي تميزها عن غيرها من اللهجات ، وتشمل هذه الخصائص على:

1/ المستَوى الصَّوتيّ:

ويَكونُ في أصَواتِ الحُروفِ وكَيف تصدُر، مِثلُ: تخفيف الهمزِ أو تحقيقه، وكَذلك الإمالةُ والإبدالُ، فيُروَى أنَّ قَبيلةَ تَميمٍ تنطق الهمزةَ عَينًا، وتقول في فُزْت: فُزْد[31] ، وتُعرَفُ كُلُّ قَبيلةٍ بالإبدال ويُروَى عنها، كالعَنعَنةِ، والفَحفَحةِ، والاستِنطاءِ والكَشكَشةِ[32] ، وغَيرِها منَ اللَّهَجاتِ العديدة القبيحة [33].

2/ المستَوى الصَّرفيّ:

---

[30] في اللهجات العربية " بتصرف " 21 .

[31] يُنظر: الأصول في النحو:ابن السراج ، 2/ 404، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: سمين الحلبي ،8/ 530.

[32] العَنْعَنةُ: في قيسٍ وتميمٍ، تجعَلُ الهمزةَ المبدوءَ بها عينًا، فيقولونَ في إنَّك: عِنَّكَ، وفي أَسْلَم: عَسْلم. والفَحْفحةُ: في لغةِ هُذَيلٍ، يجعَلون الحاءَ عينًا. والاستِنطاءُ: لغةُ سعْدِ بنِ بكرٍ وهُذَيلٍ والأَزْدِ وَقيسٍ والأَنصارِ، يجعَلون العينَ السَّاكنةَ نونًا إذا جاورَت الطاءَ، كأَنْطى في أَعطى، وليس ذلك في كُلِّ الكَلِماتِ .والكَشْكَشةُ: في ربيعَة وَمُضَرَ، يَجعلون بَعدَ كافِ الخِطابِ في المؤنَّثِ شِينًا، فيقولون: رأَيتُكِش ومررتُ بكِش. أو يَقلِبون كافَ المخاطَبةِ المؤنَّثةِ شينًا، فيقولون: كتابُش وأبوش وأمُّش، وبها قُرئ :قَدْ جَعَلَ رَبُّشِ تَحتَشِ سَرِيًّا. يُنظر: سر صناعة الإعراب:ابن جني، 242/1، لسان العرب:ابن منظور ،2/ 320، الاقتراح في أصول النحو: للسيوطي،ص: 154-155، تاج العروس، لزبيدي :1/ 22.

[33] يُنظر: في اللهجات العربية:إبراهيم أنيس،ص: 40 .

وتَكونُ في تباين صياغةِ الأبْنِيةِ الصَّرفيَّةِ، مثل: اسمُ المفعولِ منَ الثُّلاثيِّ المعتَلِّ الوسَطِ بالياءِ؛ فالقياسُ حَذفُ الياءِ أو واوِ)مَفعولٍ) على خِلافٍ، فيُقالُ في: باعَ وخاطَ: مَبِيعٌ ومَخِيطٌ، لكنَّ قَبيلةَ تَميمٍ تُصوِّبه فيَقولونَ: مَبْيُوعٌ ومَخْيُوطٌ[34]، كذلك قَولُ العَبَّاسِ بنِ مِرداسٍ :

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّدًا ***** وَإِخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

3/ المستوى النَّحويّ:

ويَكونُ في الإعرابِ والبِناءِ وباقي أبوابِ النَّحوِ، مثل: نَصْبُ أهل الحجاز لخَبَرِ ليس مُطلَقًا، رغم رفع بَني تَميمٍ له إذا اقتَرَنَ بـ (إلَّا (حَملًا لها على (ما)، وكَذلك تَقسيمُ النُّحاةِ لـ(ما) النَّافيةِ إلى حِجازيَّةٍ وتَميميَّةٍ، واختاروا أن يكون خَبَرُ (ما) مَنصوبًا عِندَ أهل الحجاز ومَرفوعًا عِندَ بَني تَميمٍ، واشتَرَطَ النّحويّون شُروطًا لِنصبِ خَبَرِ (ما) عِندَ الحِجازيّين، كما هو مَعروف في كُتُبِ النَّحوِ[35] .

4/ المستَوى الدَّلاليّ:

وتَكونُ فيما تُعبّر عنه الكَلمةُ من مَعنًى في ذاتها، فتَتفَرَّد بَعضُ اللَّهَجاتِ بدَلالاتٍ تخصّها، وقد نَتج عن تَنَوُّعِ الدَّلالاتِ اللُّغَويَّةِ وُجودُ ظَواهرَ معروفة، مِثلُ: التَّرادُفِ والمشتَرَكِ اللَّفظيّ، كما رُوِيَ أنَّ أبا هريرةَ رَضيَ اللهُ عنه لم يُدرِك مَعنى كلمةِ "السِّكِّينِ" حين سمِعَها من رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) :واللهِ إنْ سمِعتُ بالسِّكِّينِ قَطُّ إلَّا يومَئِذٍ، وما كُنَّا نَقولُ إلَّا المِدْيَةَ[36].

لكن التباين في الدَّلالةِ قليل؛ فإنَّ اللَّهجةَ إذا تباينت مَعاني أغلبِ كَلماتِها، واتَّخَذَت أُسُسًا فريدةً في بنيةِ الكَلماتِ، والقَواعِدِ، لا تُعَدُّ حينَئِذٍ لهجةً، بَل لُغةً مُستَقِلَّةً [37].

---

[34] يُنظر: شرح الكافية الشافية: ابن مالك ،4/ 2143، شرح شافية ابن الحاجب :رضي الدين الإستراباذي :2/ 797-798، اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الراجحي ،ص: 39.

[35] يُنظر: في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس ،ص: 82، 83.

[36] أخرجه البخاري 6769.

[37] يُنظر: تاريخ آداب العرب: الرافعي ،1/ 90، فقه اللغات العربية وخصائص العربية : خالد نعيم الشناوي :ص: 182-183.